من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة

إعداد

الطالبة/ خلود سليم رباح الحربي

خريجة ماجستير، قسم اللغة العربية ، (بلاغة ونقد)،

كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة طيبة ،

المملكة العربية السعودية

من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة

خلود سليم رباح الحربي
قسم اللغة العربية ، (بلاغة ونقد)، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة طيبة، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: khoooodh456@gmail.com

الملخص:
جاء ترتيب المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة وفق أغراض وأهداف يحققها في المخاطبين بدقة عالية، تُبْرز وجهًا ناصعًا من وجوه إعجاز القرآن الكريم.
وقد دفعني إلى اختياره موضوعًا لبحثي الرغبةُ العارمةُ في خدمة القرآن الكريم، والانتفاع بقوانين البلاغة في تحليل ذلك النص المعجز، والوقوف على ما يمكن من وجوه إعجازه البلاغي، إلى تنمية ذائقتَيْ البلاغية بإجالة الفكر في النظم القرآني الكريم.
واعتمدت المنهج التحليلي الفني القائم على تطبيق نظرية النظم؛ لأنها التي تثبت لدراسة النظم القرآني الفخم.
وقد وضع البحثُ اليد على علاقات المتعاطفات الأفعال، وأبان عن وجه ارتباط بعضها ببعض عمومًا وخصوصًا، وسببًا ومسبَّبًا، ومشوِّقًا ومشوَّقًا إليه، إلى آخر تلك العلاقات التي اعتمدها البحثُ عناوين لمباحثه. وأسفرَ البحثُ عن عدة نتائج بلاغية تقرر عظمة هذا الكتاب الخالد، ونجد بلاغة الترتيب أتت لإبراز معان بلاغية، منها التنبيه على المقدم، وإبراز معنى لافتٍ، أو تحقيق غرض مقصودٍ، فيكون لذلك هو الأَوْلى بالتقديم، وكذلك الاتساق، ومناسبة السياق الأبعد، ويقتضي أحيانًا ترجيحَ تقديمِ بعضِ الأفعال وتأخير أخرى.

الكلمات المفتاحية: بلاغة، التقديم، المتعاطفات، الأفعال، سورة البقرة

The Eloquence of Conjugated Verbs in Surat Albaqarah

Kholoud Salim Rabah Al-Harbi
Department of Arabic Language, (Rhetoric and Criticism), College of Arts and Humanities, Taibah University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: khoooodh456@gmail.com

Abstract:
Thesis topic: The Eloquence of Conjugated Verbs in Surat Albaqarah, and exploring the correlation between conjugated verbs. The sequence of these verbs in Surat Albaqarah according to objectives that accurately target audience to highlight aspects of the Holy Quran Miracles in a crystal way.
I have selected this topic basically as I have a strong desire to serve the Holy Quran and benefiting from eloquence in analyzing the Holy Quran texts as possible as I can with the purpose of enriching thoughts and rhythms in the Holy Quran.
The researcher adopted the analytical technical methodology as a tool to prove organization theory to prove the splendid Quranic rhythms. I hope to do well in preparing this paper.
The current research paper highlights the correlation between conjugated verbs, generally and specially, factors and causes, interesting and attraction to the Holy Quran and other types of relationships which are explained herein this research. The researcher concluded the following rhetoric results proving the glory of the Holy Quran.

Keywords: Rhetorical , Presentation , Conjugated verbs , Verbs , Surat Albaqarah.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله على ما بين لنا من قرآنه الكريم، وهدانا إلى نور كتابه العظيم، الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ وجعله هاديًا إلى الصراط المستقيم، والصلاة والسلام على مَنْ أُوحِيَ إليه هذا الذكر الحكيم، وبلَّغَهُ إلى أمَّتِه كَامِلًا بإيمانٍ وتسليم، وعلى أهل بيته الطيبين، وأصحابه الغر الميامين، الذين سمعوا القرآن من فم النبي ﷺ غضًا رطبًا، وبلغوه لنا سلسلًا عذبًا.

أمَّا بَعْدُ: فإنَّ القرآن الكريم هو معجزة الله الباقية، التي أقامها الله شاهدًا بصدق نبيه الأكرم ورسوله الأعظم ﷺ، وتحدَى أهلَ الفصاحة والبيان من الإنس والجان، فما ثبتوا لهذا التحدِي، بل أظهروا عجزًا وعيًّا، وقد سجَّلَ اللهُ عليهم خيبتهم عن مجاراة القرآن العظيم، أو الاقتراب من آفاق بلاغته السماوية العليَّة، فمع أن العربَ ملكوا ناصية البيان لم يستطيعوا بإتيان نظير للقرآن، ولا بنظير لعشر سور مثله، ولا نظير بسورة من مثله، وفي ذلك دلالة جليَّة على إعجازه، ولازال التحدي قائمًا بذلك إلى قيام الساعة.

ومن إعجاز نظم القرآن الكريم حسن اختيار أفعاله، فإنك لا تجد فعلًا في القرآن يصلح غيره في مكانه، ولو وضع أي فعل في معناه مكانه ستجد اختلالًا في النظم والمعنى؛ لأن معناه في السياق القرآني الذي وضع في يؤدي المعنى الدقيق الذي أراده الله، مع رعاية كمال النظم.

وقد شغلني من بلاغة القرآن الكريم ذلك الترتيب الدقيق للمتعاطفات الأفعال في الذكر الحكيم، وهو تابع لغرض حكمة اختيار الأفعال، فيمَّمتُ نحو سورة البقرة أتفحص وجوه الارتباط بين تلك المتعاطفات، ولا شك أن دلالات التعاطف في الدرس البلاغي أوسع منها في الدرس النحوي، حيث إن معاني حروف العطف في النحو محدودة، أما دراستها في ضوء باب

التقديم والتأخير في ظلال البلاغة الرطيب فلها إشاراتٌ بديعةً نفيسةً، ومن أجل ذلك قصدت بحث بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة.

وقدمت المتعاطفات على الأفعال، ولم أقل: (الأفعال المتعاطفة)؛ لبيان وجهة البحث، وأنه معني أولًا بالترتيب لا بالأفعال من حيث كونها أفعالًا، عندما يتعاطف فعلان أو أكثر إثباتًا أو نفيًا، واكتفيت بذكر الأفعال دون الجملة، فلم أقل: (المتعاطفات بين الجمل الفعلية)؛ لأن الوجهة الخالصة للحدث الكامن في الفعل، والمعنى القائم فيه، ثم اكتفيت بسورة البقرة نموذجًا تطبيقيًا؛ لكثرة الشواهد الواردة فيها، ولإفراغ الجهد لإبراز الجوانب البلاغية من هذا الترتيب، وجعلت عنوان البحث: بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال خلال سورة البقرة.

مشكلة البحث:

كمنت مشكلة البحث في غموض وجوه العلاقات الكامنة بين الأفعال المتعاطفات، وضرورة الوقوف على أثر هذا الترتيب على المعاني بين المتعاطفات في بناء المعنى العام للنص القرآني، وعلى إدراك الوجهة الجامعة بين المتعاطفات، وإبراز الدقائق البليغة لهذا الأسلوب، حيث يتنوع هذا الأسلوب وتتغير دلالته تبعًا لتغير السياق وحاجة المقام، فما كان لكلمة أن تتقدم من مكانها دون غاية معنوية، وهدف دلالي تريد أن تثبته في النص.

أسئلة البحث:

من خلال ذلك حاولت أن أجيب عن السؤال التالي:

- ما أسرار بلاغة الترتيب التي وردت به المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة؟

أهمية البحث:

وقد أتت أهمية الموضوع وأسباب اختياره إضافة إلى ما سبق من حيث:

١- الرغبة في خدمة القرآن الكريم والنهل من معينه النمير الصافي، وتطبيق قواعد البلاغة في نصٍ بليغٍ معجز.
٢- محاولة إبراز جوانب من النظم المحكم ووجوه إعجازه قدر الطاقة.
٣- تنمية الذائقة البلاغية بالتعرف على أسرار بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في النظم القرآني الذي يُعدُّ من أدقِّ الموضوعات وأهمها.
٤- إبراز تنوع المعاني وثرائها في ترتيب المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة، وما يبثه أسلوب العطف من تناسقٍ تعبيري بين أحداث الأفعال.

الدراسات والأبحاث السابقة:

وبالبحث لم أجد دراسة مفردة حول هذا الموضوع، إلا بعض الدراسات المتعلقة بالفكرة وليست منها ومن ذلك:

١- "الجوانب الدلالية لحروف العطف في الخطاب القرآني – دراسة دلالية تحليلية"، إعداد الباحثة/ مبروك عائشة، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، الجزائر، (٢٠١٨م).
٢- "بلاغة الترتيب بين الجمل المتعاطفة بالواو في القرآن الكريم"، إعداد الباحث/ طارق عزت أحمد حسن، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، (٢٠١٤م).
٣- "من أسرار حُروف العَطف في الذكر الحكيم (الفاء، ثم)"، إعداد الأستاذ الدكتور/ محمد أمين الخضري، (١٩٩٣م).

التعليق على الدراسات السابقة:

ومن الواضح أن الهدف من الدراسات السابقة يختلف مع هذا البحث في المضمون؛ فالبحث الأول عُني بمتعاطفات الأحداث الكامنة في جميع الأفعال المتعاطفة في سورة البقرة وبسائر حروف العطف على أنني لم أتعرض لأي شاهد طرقته هذه الدراسة إلا بقدر ما أحدث التكامل بين الدراستين. وحدَّت الدراسة الثانية حدودها ببلاغة الترتيب بين الجمل

المتعاطفة بالواو، والثالثة بأسرار حرفَي العطف (الفاء، ثم) في القرآن الكريم، وفي الدراستين تحديد بحروف عطف معينة دون النظر إلى سائر صور التعاطف. وجاء هذا البحث لإبراز بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال خلال سورة البقرة.

منهج البحث:

قد اعتمدت في هذا البحث على تطبيق نظرية النظم على بعض الشواهد من سورة البقرة.

مصطلحات البحث:

١- التقديم والتأخير: امتدحه الإمام عبد القاهر، وأغرى بقراءته، فقال: "هو باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لايزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولاتزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطُف عندك أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"(١).

والتقديم عند الإمام عبد القاهر ينقسم قسمين:

الأول: تقديم على نية التأخير وهذا لا علاقة لنا به.

والثاني: تقديم لا على نية التأخير وهذا عملنا معه، وترتيب الأفعال داخل فيه لأنه يمكن تقديم هذا الفعل أو ذاك، والبحث يعنى ببيان سر ما وردت عليه المتعاطفات من ترتيب وتقديم أو تأخير.

٢- الفصل والوصل: عرف القزويني ذلك بقوله: "الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه"(٢).

٣- سورة البقرة: هي أطول سورة في القرآن، عدد آياتها: (٢٨٦) آية، ترتيبها الثاني في المصحف بعد سورة الفاتحة.

---

(١) شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، شادي (ص: ١٧٦-١٧٧).

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (٣/ ٩٧).

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة، أربعة مباحث، وهي:

المبحث الأول: من بلاغة تقديم الفعل السبب على الفعل المسبب وعكسه في متعاطفات الأفعال في سورة البقرة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من بلاغة تقديم الفعل السبب على الفعل المسبب في المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة.

المطلب الثاني: من بلاغة تقديم الفعل المسبب على الفعل السبب في متعاطفات الأفعال في سورة البقرة.

المبحث الثاني: من بلاغة تقديم الفعل الأهم على الفعل المهم وعكسه في المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من بلاغة تقديم الفعل الأهم على الفعل المهم في المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة.

المطلب الثاني: من بلاغة تقديم الفعل المهم على الفعل الأهم في متعاطفات الأفعال في سورة البقرة.

المبحث الثالث: من بلاغة تقديم الفعل العام على الفعل الخاص وعكسه في متعاطفات الأفعال في سورة البقرة.

المطلب الأول: من بلاغة تقديم الفعل العام على الفعل الخاص في المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة، وفيه مطلبان:

المطلب الثاني: من بلاغة تقديم الفعل الخاص على الفعل العام في المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة

المبحث الرابع: من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال متعددة الأغراض البلاغية في سورة البقرة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة لمناسبة السياق.

المطلب الثاني: من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال بتقديم الغاية على الوسيلة في سورة البقرة.

المطلب الثالث: من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال بتقديم التخلية على التحلية في سورة البقرة.

ثم أختم البحث بنتائج البحث.

المبحث الأول: من بلاغة تقديم الفعل السبب على الفعل المسبب وعكسه في متعاطفات الأفعال في سورة البقرة.

المطلب الأول: من بلاغة تقديم الفعل السبب على الفعل المسبب في المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة.

الأصل في الكلام تقديم السبب على المسبب، وذلك لأن الفعل السبب الذي يأتي أولًا هو الذي صدر الفعل التالي من أجله، ويتناول هذا المطلب بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة من حيث تقديم الفعل السبب منها على الفعل المسبب عنه، وقد ورد في السورة الكريمة في مقام تقديم السبب على المسبب في مواضع، فاخترت منه شاهدين:

الأول: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ **[البقرة: ٦٢].**

تتحدث هذه الآية عن المسلمين الذين صدقوا الله ورسوله، وعن اليهود والنصارى، بأن من آمن منهم بالله وآمن باليوم الآخر، "فصدَّقَ بالبعث بعد الممات، وعمل من العمل صالحا لمعاده، فلا خوف عليهم فيما قدموا عليه من أهوال القيامة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا وراءهم من الدنيا وعيشها بعد معاينتهم ما أمرهم الله به من جزيل ثوابه"(١).

بلاغة الترتيب بين متعاطفات الأفعال في الآية الكريمة:

ولما كان الفعل ﴿ءَامَنَ﴾ هو الأساس وهو السبب، والباب الذي يجب أن يلج منه العبد إلى هذا الدين الحق، كان لذلك أحق بالتقديم، وكان الفعل المسبب، وهو ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ مترتبًا عليه عُطِف عليه وأُلحق به.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٨/ ٥٧٥).

ولا شك أن العمل ركيزة ومقوم أساسي من مقومات الإيمان، ولا جدوى من إيمان بلا عمل، ولا شك "أنَّ التفاوتَ بين الناس في الإيمان يكون غالبًا لتفاوتهم في الأعمال"(١).

واقترنَ مواضع كثيرة ذكر الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم، لا مجال لحصرها هنا، وهذا يدل على شدة تواثقهما وترابطهما. ومن فضائل الإيمان بالله والاعتقاد بوحدانيته؛ أنه يجعلُ صاحبه مقبلًا على فعل الخير، وراغبًا في ذلك، وفي تقديم الإيمان على العمل الصالح إشارة إلى انبثاق العمل الصالح من الإيمان.

وبناء على ذلك يكون الإيمان كالموجه الذي يوجه الإنسان، ويرشده إلى الأعمال الصالحة، ويصرفه عن الأعمال القبيحة، "والمخلصون وإن كان إيمانهم حاصلًا فقد بقي عليهم العمل الصالح"(٢)، فالعمل الذي يصدر من نفسٍ مؤمنةٍ مطمئنةٍ سيكون بلا شك عملًا صادقًا، ودائمًا ومخلصًا لوجه الله تعالى، و"الإيمان الصحيح والعمل الصالح عنوان على سعادة صاحبه"(٣).

وعلى النقيض نجد العمل الذي لا يصدر عن إيمانٍ بالله تعالى وإخلاصٍ له – تعالى –، فهو عمل غير صادق، ومعرض للرياء والانقطاع؛ لأن صاحبه تغلبه الأهواء والمنافع والمصالح الشخصية، فلا خيرَ ولا ثوابَ يرُجى من هذا العمل.

والقرآن الكريم وصف العمل بالصلاح لا مطلق العمل؛ وعلى ذلك فسعادة الإنسان في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بإيمانه الصادق وعمله الصالح، بل الإيمان بالحقيقة المقدسة، وهي الإيمان

(١) شرح حديث جبريل في تعليم الدين، البدر (ص: ٧١).
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٥٣٩).
(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٦٢٧).

بوحدانية الخالق المدبر لهذا الكون إلهًا واحدًا رازقًا محييًا مميتًا؛ لأن "الإيمان حينئذ ينصرف إلى رُكْنِهِ الأكبر الأعظم وهو الاعتقاد القلبي، وهو إيمان القلب واعتقاده وانقياده بشهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا رسول الله ﷺ "(١)، ومن ثَمَّ يأتي العمل الصالح ليكمل هذه السعادة وينميها.

وهذا ما أكده صاحب (التفسير الوسيط) في فضل المؤمنين بالله المصدقين بوجوده، والمردفين إيمانهم بالعمل الصالح، فقال: "هؤلاء لهم أجرهم العظيم عند ربهم، ولا يفزعون من هول يوم القيامة كما يفزع الكافرون، ولا يفوتهم نعيم، فيحزنون عليه كما يحزن المقصرون"(٢).

وقد وجهنا النبي ﷺ إلى كثير من الأعمال الصالحة التي ينبثق منها صلاح أعمال العبد، وتكون سببًا لدخول الجنة.

الثاني: قال الله تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨ ﴾ **[البقرة: ٢٦٨].**

جاء هذا الشاهد مبينًا فضل الصدقة وعظم أجرها عند الله تعالى، يقول ابن جرير الطبري: "يعني بذلك تعالى ذكره: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾، أيها الناس بالصدقة وأدائكم الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم أن تفتقروا ﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾، يعني: ويأمركم بمعاصي الله – تعالى –، وترك طاعته ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ﴾، يعني أن الله – تعالى – يعدكم أيها المؤمنون، أن يستر عليكم فحشاءكم، بصفحه لكم عن عقوبتكم عليها، فيغفر لكم ذنوبكم بالصدقة التي تتصدقون، ﴿وَفَضۡلٗا﴾ يعني: ويعدكم أن

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي (٣/ ٢٥١).
(٢) التفسير الوسيط، طنطاوي (١/ ١٥٨).

يخلف عليكم من صدقتكم، فيتفضل عليكم من عطاياه ويسبغ عليكم في أرزاقكم"[١].

وفي هذه الآية توضيح لمكائد الشيطان ولطرقه التي يسلكها في إغواء الإنسان، فيجد مدخله؛ ليستحوذ على الإنسان أولًا، ويفرض عليه أوامره ثانيًا.

من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في الآية الكريمة:

قدم النظمُ الكريم في هذه الآية الكريمة الفعل ﴿يَعِدُكُم﴾ الدال على وعد الشيطان، على الفعل ﴿وَيَأۡمُرُكُم﴾ الدال على أمر الشيطان، والسبب المقدم؛ هو ﴿يَعِدُكُم﴾، والمسبب المؤخر؛ هو ﴿وَيَأۡمُرُكُم﴾، فوعد الشيطان سبب يوصل ويؤدي إلى قناعة الإنسان، وبالتالي إلى إقناعه بأفكار الشيطان، والاستماع إلى نصائحه، وذلك يضعف العبد ويقوي ضده الشيطان، وحينئذ يقوى الشيطان ويتسلط عليه، فيأمره أمرًا، فكان هذا من عطف المسبب على السبب.

ومن أسرار ذلك الترتيب: بيان الكيفية التي من خلالها يستدرج الشيطان بني آدم، فيكون إغواؤه للإنسان بالتدريج وفق خطوات متتالية، وهذا ما أشار إليه النيسابوري حيث يقول: "الشيطان إذا دعا إلى زلّة ولم يُجَبْ، يوسوس بأخرى؛ إذ مراده الإغواء كيف أمكن"[٢].

وبإنعام النظر في الآية الكريمة، يتبين مُراد الشيطان بتخويفه للإنسان من الفقر عند الإنفاق، وبإيهامه أن عاقبة هذا الإنفاق الخسران والافتقار، فإذا استعد العبد وتأهب "لينفق في سبيل الله، وإعلاء شأن الحق، أو سد حاجة المعوزين من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، وسوس إليه بأن ذلك

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٥/ ٥٧١).
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري (١/ ٢٠).

سبيل نفاد المال"[١]، فيبث في قلبه القلق والخوف من المستقبل، ومن حوادث الدهر وتقلباته، فيحجم العبدَ ضعيفُ الإيمان عن هذا الإنفاق، أو يتخير الرديءَ من ماله فيصدق به.

ومن عظيم أسرار هذا الترتيب أيضًا: ما ذكره النيسابوري حين قال: "إن لكل خلق طرفَين ووسطًا، فالطرف الكامل للإنفاق هو أن يبذل كل ماله في سبيل الله، والطرف الأفحش أن لا ينفق شيئًا لا الجيد ولا الرديء، والوسط أن يبخل بالجيد، وينفق الرديء، فالشيطان إذا أراد نقله من الأفضل إلى الأفحش، فمن خفي حيلته أن يجره إلى الوسط"[٢]، الذي هو إنفاق الرديء، ثم يتدرج معه إلى أن يأمره بالفحشاء، و"قيل إن الفحشاء تقع على وجوه، والمراد بها في هذا الموضع: البخل"[٣]، وتكون غاية الشيطان من أمر الإنسان بالبخل بعد وعده بالافتقار هي منعه من الإنفاق بشكل كلي، "فلا يؤدي الزكاة، ولا يصل الرحم، ولا يرد الوديعة، فإذا صار هكذا سقط وقع الذنوب عن قلبه، ويصير غير مبالٍ بارتكابها"[٤].

وفي هذا الترتيب أيضًا: إشارة إلى الطرق التي ينفذ الشيطان من خلالها إلى الإنسان، فيأتي إليه في ثوب النصح، وإظهار المصلحة بخوفه عليه من الافتقار، وعندما ينقاد الإنسان إليه، ويرضخ لوسوسته عندئذ يتسلط عليه الشيطان بما أراد، وقد يدعو إلى الخير؛ لكن لغرض أن يجره منه إلى الشر، وهذا من طرق الشيطان ومداخله التي ينفذ من خلالها إلى قلب الإنسان بالتدريج دون أن يشعر.

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة (٢/ ١٠٠٥).
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري (٢/ ٤٦).
(٣) أحكام القرآن، الجصاص (١/ ٥٥٧).
(٤) مفاتيح الغيب، الرازي (٧/ ٥٦).

ومن أسرار هذا الترتيب أيضًا: ما ذكره الآلوسي حين: "قدَّمَ وعد الشيطان على أمره؛ لأنه بالوعد يحصل الاطمئنان إليه، فإذا اطمأن إليه، وخاف الفقر، تسلط عليه بالأمر، إذ فيه استعلاء على المأمور"(١). فينبغي للمسلم الحذر من الشيطان، وعدم الرضوخ لوسوسته، وعلى المسلم كذلك تفويض أمره لله تعالى، ويدرك ما للصدقة من عظيم فضل، حيث تزيد المال ويتبارك بها، وقد روى عن أبي كبشة الأنماري، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((ما نقص مال عبد من صدقة)) (٢)، ولذا ينبغي على الإنسان أن ينفق وأن يتصدق بأجود ما عنده، وأن يبتعد عن الرديء فلا يتصدق به.

ومن أسرار هذا الترتيب أيضًا: إثبات ضعف كيد الشيطان، فإنه يتلطف أولًا حتى يتمكن فيأمر، ومهما تمكن الشيطان من الإنسان إلا أن كيده يبقى ضعيفًا، وذلك ما جاء صريحًا في قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ ﴾ [النساء: ٧٦]، وإذا توكل المسلم على الله تعالى حق توكله، واستعاذ بالله تعالى من الشيطان، وابتعد عن الانجراف وراء خطواته التي تجر بعضها إلى بعض، فإن الله – تعالى – سيَمُدُّ عبده بنصره وتوفيقه.

ولشدة قُبح صفة البخل فإن الشيطان يمهد لها بمقدمات يستطيع من خلالها السيطرة على الإنسان الضعيف، وفي السياق ذاته يقول الرازي في تفسيره: "الشيطان يخوفه أولًا بالفقر، ثم يتوصل بهذا التخويف إلى أن يأمره بالفحشاء، ويغريه بالبخل، وذلك لأن البخل صفة مذمومة عند كل أحدٍ،

(١) روح المعاني، الآلوسي (٢/٤٠).
(٢) جامع الترمذي، ح ٢٣٢٥، أبواب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، (٤/ ٥٦٢)، وقال الألباني: "صحيح".

فالشيطان لا يمكنه تحسين البخل في عينه، إلا بتقديم تلك المقدمة، وهي التخويف من الفقر"[١].

والشيطان لا يفتأ يخوف الإنسان من الفقر وينفره من الصدقة وبذل المال للمحتاجين، ويقول صاحب (بستان الواعظين): "يكون عندك ما يكفيك وأنت تحرص على جمع الزيادة، وهو الفقر اللازم، فيردك عن غنى الكفاية إلى طلب المزيد، وهو الفقر الحاضر، الذي يؤدي صاحبه إلى العذاب الدائم الشديد"[٢].

وقد أشار الرازي إلى لطيفة توضيح الفرق بين ما وعد به الله تعالى، وما وعد به الشيطان الرجيم، فقال: "إن الشيطان يعدك الفقر في غد دنياك، والرحمن يعدك المغفرة في غد عقباك، ووعد الرحمن في غد العقبى أولى بالقبول"[٣]. فشتان بين الوعد الموجب للفوز بالجنان، والوعد المفضي إلى الخلود في النيران، ولا يفوته التفريق بينهما إلا تعيس مغبون.

المطلب الثاني: من بلاغة تقديم الفعل المسبب على الفعل السبب في متعاطفات الأفعال في سورة البقرة.

في بعض الأحيان يتقدم الفعل المسبب على الفعل السبب؛ وذلك للدلالة على معنى دقيق يقتضيه كمال الإيجاز والإعجاز في النظم القرآني الكريم، ويتناول هذا المطلب بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة من حيث تقديم الفعل المسبب منها على الفعل السبب، وبعد البحث في متعاطفات الأفعال تبين أنها قد وردت في السورة الكريمة في مواضع، تناولت منها بالتحليل موضعين:

(١) مفاتيح الغيب، الرازي (٧/ ٥٦).
(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين، ابن الجوزي (ص: ١٦).
(٣) مفاتيح الغيب، الرازي (٧/ ٥٦).

الأول: قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤].

عندما أمر المولى – تعالى – الملائكة بالسجود لآدم – عليه السلام – "استثنى من جميعهم إبليس، فدلّ باستثنائه إياه منهم على أنه منهم، وأنه ممن قد أمِر بالسجود معهم، فأخبر جل ثناؤه أنه قد أمر إبليس – وكان من الجنِّ – فيمن أمرَه من الملائكة بالسجود لآدمَ. ثم استثناه جل ثناؤه مما أخبر عنهم أنهم فعلوه من السجود لآدمَ، فأخرجه من الصفة التي وصفهم بها من الطاعة لأمره، ونفى عنه ما أثبته لملائكته من السجود لعبده آدم"(١).

من بلاغة الترتيب بين متعاطفات الأفعال في الآية الكريمة:

قَّدم النظم الكريم الفعل ﴿ أَبَىٰ ﴾ على الفعل ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾، "والإباء الامتناع من فعل أو تلقيه"(٢)، والفعل المسبب المقدم هو ﴿ أَبَىٰ ﴾، والفعل السبب المؤخر هو ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾، إذ الإباء والامتناع عن السجود كان بسبب الاستكبار، فكان هذا من عطف السبب على المسبب، ومن تقديم المسبب لنكايته.

ومن أسرار ذلك الترتيب: بيان أن الامتناع من الأفعال الظاهرة بعكس الاستكبار الذي هو من أفعال القلوب الباطنة، يقول ابن عطية: "والإباية مقدمة على الاستكبار في ظهورهما عليه، والاستكبار والأنفة مقدمة في معتقده"(٣).

ومن أسرار ذلك الترتيب أيضًا: أنه قد جاء الإخبار من المولى تعالى بأن إبليس خالف حاله حال الملائكة، "فناسب أن يبدأ أولًا بتأكيد ما حكم به

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١/ ٥٣٥).
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٤٢٤).
(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ١٢٥).

عليه في الاستثناء، أو بإنشاء الإخبار عنه بالمخالفة، والذي يؤدي هذا المعنى هو الإباء من السجود"[١]، ولذلك قدم فعل الإباء على سببه الاستكبار.

ويوضح هذا الترتيب بلوغ إبليس غاية الحقد والحسد لآدم وذريته؛ لأنه امتنع عن تنفيذ أمر المولى جل شأنه، وهو السجود لآدم مع قدرته واستطاعته على تنفيذه، يقول البيضاوي: "والإباء: امتناع باختيار. والتكبر: أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره. والاستكبار طلب ذلك بالتشبع"[٢].

والترتيب الطبعي للأفعال أن يذكر الاستكبار أولًا؛ لأنه هو سبب الإباء والامتناع، ولكن "نظم الآية جاء على مقتضى الطبيعة في الذكر، فإنه يفيد أن الله تعالى أراد أن يبين الفعل أولًا؛ لأنه المقصود بالذات، وهو الإباء، ثم يذكر سببه وعلته، وهو الاستكبار، ثم يأتي بالأصل في العلة والمعلول والسبب والمسبب، وهو الكفر"[٣].

وفي هذا الترتيب أيضًا: إيضاح لنزعة إبليس وأصله، إذ عندما أُمر بالسجود لآدم – عليه السلام – رفض، وذلك يدل على عدم صدقه في دعواه التعبد لله تعالى في السماء، قبل ذلك، ولهذا أراد المولى جل شأنه كشف حقيقته بذكر الفعل الذي من أجله تم استثناؤه من الملائكة، "فإبليس بإبائه انتقضت الجبلة التي جبل عليها أول مرة، فاستحالت إلى جبلة أخرى"[٤].

وجاء الاستكبار على صيغة المبالغة بزيادة السين ليدل على أن هذا الاستكبار من صنع إبليس، وليس من حقيقته، "ومن لطائف اللغة العربية

(١) البحر المحيط، أبو حيان (١/ ٢٤٨).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (١/ ٧١).
(٣) تفسير المنار، رضا (١/ ٢٢٢).
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٤٢٤).

أن مادة الاتصاف بالكبر لم تجيء منها إلا بصيغة (الاستفعال) أو (التفعل) إشارة إلى أن صاحب صفة الكبر لا يكون إلا متطلبًا الكبر، أو متكلفًا له، وما هو بكبير حقًا"[1]، والله أعلم.

الثاني: يقول الله تعالى: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

جاءت هذه الآية الكريمة مبينة لأحكام القتال، عندما جاء النبي ﷺ مع أصحابه "فاعتمروا في ذي القَعدة ومعهم الهدي، حتى إذا كانوا بالحديبية صدّهم المشركون، فصالحهم نبيُّ الله ﷺ على أن يرجع من عامه ذلك، حتى يرجع من العام المقبل فيكون بمكة ثلاثة أيام ولا يدخلها إلا بسلاح راكب ويخرج، ولا يخرج بأحد من أهل مكة، فنحروا الهدْي بالحديبية، وحلَّقوا وَقصَّروا، حتى إذا كان من العام المقبل، أقبل النبيُّ ﷺ وأصحابُه حتى دخلوا مكة، فاعتمروا في ذي القَعدة، فأقاموا بها ثلاث ليال، فكان المشركون قد فخروا عليه حين ردُّوه يوم الحديبية، فأقصَّه الله منهم، فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردُّوه فيه في ذي القَعدة"[2].

من بلاغة الترتيب بين متعاطفات الأفعال في الآية:

قَدَّمَ النظمُ الكريم في هذه الآية الكريمة الفعل ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ على الفعل ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾، لأن العلم سبب يؤدي إلى التقوى، والتقوى ثمرة العلم ونتيجته، وهو من عطف السبب على المسبب، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة: ٢٨٢].

(١) المرجع السابق، (٤٢٥/١).
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٣/ ٣٠٦).

ومن أسرار ذلك الترتيب، بيان فضل ثمرة العلم وهي التقوى الخالصة الصادقة لوجه الله تعالى، التي ينبغي أن تكون صادرة من قلب مؤمن، متيقن بالله – تعالى –، فهناك من يقاتل لينال رفعة، أو يكتسب غنيمة، أو يرغب في الانتقام وما شابه ذلك، وهذا ما ذكره الصديق حسن خان القِنَّوجي، حين قال: "ولما أباح لهم الاقتصاص بالمثل، وشأن النفس حب المبالغة في الانتقام من العدو حذرهم من ذلك فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي في حال كونكم منتصرين لأنفسكم ممن اعتدى عليكم، فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم"(١)، فليس كل مقاتل هو مقاتل لوجه الله تعالى ، وهذا ما أكده ابن عاشور حين قال: "شأن المنتقم أن يكون عن غضب فهو مظنة الإفراط"(٢).

ولذلك كان صفاء النية ومخافة الله والإخلاص في العمل شرطًا أساسيًا لقبوله من الله جل شأنه، فذلك أمر الله المسلمين بتقواه في السرِّ والعلن، وبعدم تجاوز حدوده التي فرضها على عباده، ونهاهم عن البغي والفجور والظلم، ونهاهم أيضًا عن مسايرة "خصومهم في أذاهم؛ فيقتلون الذراري، أو الشيوخ، أو الضعاف، أو الرهبان والعباد في الصوامع كما يفعل خصومهم، أو يحرقون الزرع، ويقتلون الضرع، كما يعيث غيرهم في الأرض فسادًا"(٣)، مع عدم التهاون في حقوقهم والدفاع عن أنفسهم؛ لأن التفريط في هذا من شأنه تمكين العدو منهم، قال صاحب (زهرة التفاسير): "إذا كان الشهر الحرام واجب الصيانة، فنفوس المؤمنين ألزم صيانة وأحق بها، وإذا

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، القِنَّوجي (١/ ٣٩٠).
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٢١١).
(٣) زهرة التفاسير، أبو زهرة (٢/ ٥٩٣).

تعارضت الحقوق والواجبات قدم ألزمها، وأحفظها لدين الله، وإعلاء كلمته"[١].

وبعد أمر الله للمؤمنين بالتقوى، "وإن تقوى الله في الحروب تقوى القلوب، والرأفة بعباد الله تدني نصر الله"[٢]، أخبرهم سبحانه بمعيته للمتقين، "والمعية تنقسم إلى قسمين: عامة، وخاصة. فالعامة؛ هي الشاملة للخلق كلهم، وتقتضي الإحاطة بهم علمًا، وقدرة، وسلطانًا، وسمعًا، وبصرًا، وغير ذلك من معاني الربوبية، وأما الخاصة، فهي المقيدة بوصف، أو بشخص"[٣]، وفي فعل الأمر ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ يأتي أمر الله للمؤمنين أن يعلموا ذلك، ويعملوا به.

وجاءت ﴿أَنَّ﴾ مؤكدةً تأييد الله ونصره ومعونته لكل من يتقيه، ويمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه. فما أحوجنا إلى الله في كل حين، وفي لحظات القتال بخاصة، وما يعتريها من مشاعر الخوف والذعر والقلق، التي يتبين عندها معنى اليقين بقدرة الله – تعالى – وملكوته.

****

(١) المرجع السابق، (٢/ ٥٨٥).
(٢) المرجع السابق، (٢/ ٥٩٣).
(٣) تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين (٢/ ٣٨٧).

المبحث الثاني: من بلاغة تقديم الفعل الأهم على الفعل المهم وعكسه في المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة.

المطلب الأول: من بلاغة تقديم الفعل الأهم على الفعل المهم في المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة.

اقتضت حكمة الله تعالى في كتابه العزيز أن يقدم الأهم فالمهم مجاراةً للجبلة العربية في لغتهم وكلامهم، والقرآن الكريم نزل بلسانٍ عربيٍ مبين، وبرغم ذلك نجد النظمَ الكريم يقدمُ أحيانًا المهمَ على الأهم؛ لأجل إبراز معنى، أو تحقيق غرض، فيكون المهمُ هو الأَوْلى في هذا المقام، ويصير هو المقصود والأجدر. وفي هذا المعنى يقول الشيخ الدسوقي: "الأهم العرضي إذا اقتضاه الحال يكون أولى بالرعاية من الأهم الذاتي"(١).

يتناول هذا المطلب بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة من حيث تقديم الأهم منها على المهم، وبعد البحث في متعاطفات الأفعال تبين أنها قد وردت في السورة الكريمة في مقام تقديم الأهم على المهم في ثلاثة مواضع، حللت منها موضعًا واحدًا:

– **قال الله تعالى:** ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ **[البقرة: ٣١].**

في هذه الآية الكريمة يذكر المولى تعالى فضل و"شرف آدم على الملائكة، بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم، وهذا كان بعد سجودهم له، وإنما قدم هذا الفصل على ذاك، لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة، حين سألوا عن ذلك، فأخبرهم الله تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون؛ ولهذا ذكر تعالى هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم، فقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، وقال الضحاك عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: ﴿ وَعَلَّمَ

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، الدسوقي (١/ ٧٧).

﴿ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾، قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة"[1].

من بلاغة الترتيب بين متعاطفات الأفعال في الآية الكريمة:

قدم النظم الكريم في هذه الآية الكريمة الفعل ﴿وَعَلَّمَ﴾ والمستهدف بالتعليم؛ هو آدم – عليه السلام –، فالمولى – تعالى – اصطفاه بالتعليم؛ لأهميته وعلو شأنه، ومقامه عند الله تعالى، على الفعل ﴿عَرَضَهُمۡ﴾، والمستهدفون بالعَرْض عليهم هم عموم الملائكة، فكان ذلك من عطف المهم على الأهم.

ومن أسرار ذلك الترتيب: بيان فضل آدم – عليه السلام – ومنزلته على سائر المخلوقات، حيث ميزه الله تعالى بمزية العلم، ومعرفة أسماء الأشياء، ونال بتلك المزية الشرف والفضل الكبير، واقتضت حكمة المولى تعالى أن يبين فضل آدم بالعلم؛ لأنه "لما أراد إعلام الملائكة فضيلة آدم علَّمَه الأسماء بمعانيها، حتى أخبر الملائكة بها، ولم تكن الملائكة علمت منها ما علمه آدم، فاعترفت له بالفضل"[2].

وبعد ذكر فضل الله تعالى لآدم – عليه السلام –، وتفضيله بمزية تعليمه الأسماء جاء العطف بـ(ثم)؛ "لأن بين ابتداء التعليم، وبين العرض مهلة، وهي مدة تلقين الأسماء لآدم، أو مدة إلهامه وضع الأسماء للمسميات. والأظهر أن (ثم) هنا للتراخي الرتبي، كشأنها في عطفها الجمل؛ لأن رتبة هذا العَرْض، وظهور عدم علم الملائكة، وظهور علم آدم، وظهور أثر علم الله وحكمته"[3]، وبذلك ظهر فضل آدم، واستحقاقه الخلافة، فكان ردًا قويًا جازمًا من الله تعالى على تعجب الملائكة عن سبب جعْل خليفة.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ٢٢٢-٢٢٣).
(٢) أحكام القرآن، الجصاص (١/ ٣٧).
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٤١١).

ومن الفضائل التي تفرد بها آدم – عليه السلام – مما جعله مختصًا بالكرامة العظمى، سواء "من خلق الله تعالى له بيده، ومِن نفخه فيه من روحه، ومِن أمره الملائكة بالسجود له تكريمًا"(١).

ويتبين أن غرض المولى من فعل الأمر ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾؛ هو بيان فضل آدم، وأنه مخلوق كريم، وله خصوصية، وفي السياق ذاته يقول صاحب (التفسير الوسيط): "والأمر في قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، ليس من قبيل الأوامر التي يقصد بها التكليف، أي: طلب الإتيان بالمأمور به، وإنما هو وارد على جهة إفحام المخاطب بالحجة"(٢).

ولا شك أن للملائكة – عليهم السلام – فضلًا عظيمًا عند الله تعالى ، فمنهم جبريل الذي كان موكلًا بإنزال الوحي على النبي ﷺ، ومنهم الحفظة الموكلون بكتابة أعمال الناس، وغيرها الكثير من المزايا التي فضلهم الله بها لكنهم "لا يصلحون للاشتغال بالماديات، والدنيا لا تقوم إلا بها، فإنهم خلقوا من نور، وآدم من طين، والمادة جزء منه"(٣).

ومن المزايا التي انفرد بها آدم – عليه السلام – عن الملائكة أنه "مستصلح لعلوم وأعمال ليس للملك سبيل إليها، وأن الخلافة التي رشح لها الإنسان في الأرض لا يصلح لها إلا هذا التركيب"(٤).

ومن عظيم حكمته – تعالى – أن جعل بعض الأسماء التي علمها آدم – عليه السلام – ظاهرًا، وبعضها الآخر خفيًا يحتاج إلى بحث وتنقيب، "فجعل علم آدم بما أظهره له وأخفاه عن ملائكته دليلًا على فضله ورياسته، وأنه المستحق من بينهم ما أفضى به إليه من خلافته؛ لأن من حكمه ألا

(١) التفسير الحديث، دروزة (٢/ ٣٥٥).
(٢) التفسير الوسيط، طنطاوي (١/ ٩٥).
(٣) التفسير الوسيط، الزحيلي (١/ ٢٣).
(٤) تفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني (١/ ١٤٥-١٤٦).

يسوي بين العالم وغيره، ولو سوى بين الملائكة وبينه في علم ما علمه إياه لم يكن هناك تفاضل يوجب له المنزلة التي جعلها له"[١].

"وأيا ما كانت كيفية التعليم فقد كان سببًا لتفضيل الإنسان على بقية أنواع جنسه بقوة النطق وإحداث الموضوعات اللغوية للتعبير عما في الضمير، وكان ذلك أيضًا سببًا لتفاضل أفراد الإنسان بعضهم على بعض"[٢].

ولما كان للعلم تلك المنزلة العظيمة تميز آدم وارتقى درجات عن الملائكة، والله – تعالى – يرفع أهل العلم درجات في الدنيا والآخرة، والعلم ينير درب صاحبه، ويفتح له الآفاق، ويمهد له الطرق، ومن فضل الله تعالى على العلماء أن جعلهم ورثة للأنبياء، وجعل سبحانه العلم طريقًا موصلًا إلى الجنة. ولأهمية ذلك "قام علماء هذه الأمة بالتشمير عن ساعد الجد، فبدؤوا بالتصنيف في سائر الفنون والعلوم، ومن جملتها علم اللغة"[٣]، وتطورت العلوم على مر العصور، وكثرت المؤلفات حتى وصلت الينا.

المطلب الثاني: من بلاغة تقديم الفعل المهم على الفعل الأهم في متعاطفات الأفعال في سورة البقرة.

كما ورد تقديم الأهم على المهم في متعاطفات الأفعال في مواضع في سورة البقرة، ورد كذلك تقديم المهم على الأهم في ثلاثة مواضع تقريبًا، ويتناول هذا المحور بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة من حيث تقديم المهم منها على الأهم، وبعد البحث في متعاطفات الأفعال

(١) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب (ص: ٦٣).
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٤١٠).
(٣) الغريب المصنف، أبو عبيد، المحقق: صفوان عدنان داووي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السادسة والعشرون، العددان: (١٠١، ١٠٢) ١٤١٤/١٤١٥هـ، (ص: ٢٤٦).

تبين أنها قد وردت في السورة الكريمة في مقام تقديم المهم على الأهم في ثلاثة مواضع حللت منها موضعًا واحدًا:

- **قال الله تعالى:** ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

في هذه الآية الكريمة أمر من الله – تعالى – للمؤمنين بالعفو والصفح جراء ما يلاقونه من أذية من المشركين، "يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿فَٱعْفُوا۟﴾ فتجاوزوا عما كان منهم من إساءة وخطأ في رأي أشاروا به عليكم في دينكم، إرادة صدكم عنه، ومحاولة ارتدادكم بعد إيمانكم، ﴿وَٱصْفَحُوا۟﴾ عما كان منهم من جهل في ذلك ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾، فيحدث لكم من أمره فيكم ما يشاء، ويقضي فيهم ما يريد"(١).

و"قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٠٩] نسخ ذلك قوله: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقوله: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ٢٩]، فنسخ هذا عفوه عن المشركين. وكذا قال أبو العالية، والربيع بن أنس،

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري (٢/ ٤٢٣).

وقتادة، والسدي: إنها منسوخة بآية السيف، ويرشد إلى ذلك أيضا قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ [البقرة: ١٠٩]" [(١)] .

من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في الآية الكريمة:

قدم النظم الكريم الفعل ﴿فَٱعۡفُواْ﴾ على الفعل ﴿وَٱصۡفَحُواْ﴾، والصفح "أبلغ من العفو إذ قد يعفو الإنسان ولا يصفح"[(٢)]، والمهم المقدم هو ﴿فَٱعۡفُواْ﴾، والأهم المؤخر هو ﴿وَٱصۡفَحُواْ﴾، فكان هذا من عطف الأهم على المهم.

ومن أسرار ذلك الترتيب: بيان تلطف الله تعالى ، وتدرجه في الخطاب مع المسلمين، حين أمرهم بالعفو، ثم ثنى بالصفح، تخفيفًا عليهم في موقفهم الصعب هذا، ومراعاةً لأحوالهم النفسية. "ولم يستغن بـ﴿وَٱصۡفَحُواْ﴾؛ لقصد التدريج في أمرهم بما قد يخالف ما تميل إليه أنفسهم من الانتقام؛ تلطفا من الله مع المسلمين في حملهم على مكارم الأخلاق"[(٣)]، فالعفو يقتضي إسقاط اللوم والذم، ولا يقتضي إيجاب الثواب، والصفح التجاوز عَن الذَّنب، وترك مُؤَاخذَة المذنب، فلا يبقى في النفس أثر شيء لهذا المذنب[(٤)].

وفي ذلك الترتيب أيضًا تدريب للمسلمين على كيفية ضبط النفس، وعدم هدر طاقاتهم واستغلال تلك الطاقات لكل ما فيه مصلحة لهم؛ لأن العفو والصفح، يحتاج إلى رياضة نفسية، وطهارة روحية، وإلفٍ اجتماعي، وأن دراية الله – تعالى – ومعرفته بطبيعة الجنس البشري الضعيف اقتضت ذلك التدرج في مرتبة التجاوز عن الأخطاء؛ لأنه تعالى أعلم بتفاوت درجات

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ٣٨٣).
(٢) روح المعاني، الألوسي (١/ ٣٥٦).
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٦٧١).
(٤) انظر: الفروق اللغوية، العسكري (ص: ٢٣٥-٢٣٦).

البشر في القدرة على العفو والصفح، وأعلم أيضًا بما يدور في دواخل الإنسان من الحقد، والألم، والرغبة في أخذ الثأر حين يغضب؛ لذلك تلطف بهم من الأيسر عليهم إلى الأشق.

وفي أسرار ذلك الترتيب أيضًا: بيان لتعليم الله – تعالى – المسلمين مكارم الأخلاق بالتدرج وعدم الشدة عليهم؛ ترغيبًا لهم للتمسك بدين الإسلام، وإيثار الآخرة الباقية على الدنيا الفانية.

والمولى تعالى "علم أن الدعوة للإسلام ستدخل البيوت العربية، فسيضم البيت الواحد كافرًا بالله ومؤمنًا بالله، ولو أنه تعالى شرع القتال من البداية لصار في كل بيت معركة، ثم إن الحق تعالى يعلم أن تلك القبائل العربية بها كثير من خفة وطيش"(١)، وبناء على ذلك اقتضت حكمته – تعالى – ذلك التدرج.

وأوثر حرف العطف (الواو)؛ لأنه يتسع للجمع بين الفعلين، ثم لأنه يتضمن معنى (ثم)؛ لأنه يفيد التراخي، وهم لا يطيقون الجمع بين الفعلين دفعة واحدة، وفي الفعلين تدرج وتلطف في الأمر، ولهذا قد تفيد الواو هنا مطلق الجمع، وقد تحتمل التدرج، فمن غير الممكن أن يتقدم الصفح، ثم يأتي بعده العفو؛ لأن الصفح أعمق وأبلغ، "والعطف على هذا للتأكيد وحسنه تغاير اللفظين، وفيه الترغيب في ذلك والإرشاد إليه"(٢).

****

(١) تفسير الشعراوي، الشعراوي (٢/ ٨١٧).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، القِنَّوجي (١/ ٢٥٢).

المبحث الثالث: من بلاغة تقديم الفعل العام على الفعل الخاص وعكسه في متعاطفات الأفعال في سورة البقرة.

المطلب الأول: من بلاغة تقديم الفعل العام على الفعل الخاص في المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة.

يأتي معنى الفعل العام مقدمًا على معنى الفعل الخاص وعكسه في سورة البقرة للإلماح إلى أسرارٍ بلاغيةٍ تخدم المقدم العام على الخاص وعكسه وتقويه، فالنظم القرآني يمزج البلاغة العالية في التركيب البديع بألفاظٍ موحيةٍ بطريقةٍ بارعةٍ، فائقة الدقة بحيث يعجز البشر عن الإتيان بمثلها مهما حاولوا، وكل كلمة وضعت هي في موضعها الدقيق، الذي لا تنوب فيه عنها غيرها. وإن أدرنا كلمات اللغة كلها على موضعها كما صرح الرافعي وغيره.[١]

ويسمي البلاغيون هذا الأسلوب: عطف الخاص على العام، وفيه يقول الثعالبي: "العرب تفعل ذلك فتذكر الشيء على العموم ثم تخصّ منه الأفضل فالأفضل فتقول: جاء القوم والرئيس والقاضي"[٢].

وغلب ذلك في سورة البقرة في مقام التشريع، ويأتي مصاحبًا لحرف العطف الواو فقط، كما أكد على ذلك صاحب (البحر المحيط) حين قال:" هو من الأحكام التي انفردت بها الواو، فلا يجوز ذلك في غيرها من حروف العطف"[٣]. وبالاستقراء والبحث وجدت هذا النوع من التقديم قد ورد في ستة مواضع تقريبًا من سورة البقرة، وقد تناولت منها موضعين:

(١) يُنظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي (ص: ١٤٦).
(٢) فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي (ص: ٢٢٣).
(٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان (١/ ٥١٦).

الأول: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ **[البقرة: ٣٠].**

تخبر الآية الكريمة عن مقال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ **مى مي**ً لنوع آخر كان قد سبق وأُسكن الأرض قبله، فبعد أن أفسد في الأرض، وسفك الدماء سيحل آدم محله، ومن ثَمَّ استنبط الملائكةُ سؤالَهم بالقياس عليه، وعن حقيقة هذا الاستفهام يقول ابن عاشور: إنه "محمول على حقيقته، مضمن معنى التعجب والاستبعاد من أن تتعلق الحكمة بذلك، فدلالة الاستفهام على ذلك هنا بطريق الكناية مع تطلب ما يزيل إنكارهم واستبعادهم"(١)، فقال لهم ربُهم: إنِّي أعلم من المصلحةِ ما هو خفيٌّ عليكم، وفي هذا إرشاد للملائكة أن يعلموا أن أفعاله تعالى كلها بالغة غاية الحكمة والكمال.

ويشمل الاستخلاف المشار إليه في الآية: "استخلاف بعض أفراد الإنسان على بعض، بأن يوحى بشرائعه على ألسنة أناس منهم يصطفيهم ليكونوا خلفاء عنه، واستخلاف هذا النوع على غيره من المخلوقات بما ميزه به من قوة العقل"(٢).

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٤٠٢).
(٢) تفسير المراغي، المراغي (١/ ٨٠).

من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في الآية الكريمة:

الآية فيها شاهدان على الترتيب بين المتعاطفات الأفعال هما:

– الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠].

حيث عطف النظم الكريم الفعل ﴿وَيَسْفِكُ﴾ الذي يصرح بكثرة إسالة الدماء والعدوان، على الفعل ﴿يُفْسِدُ﴾، والإفساد يشمل السفك وغيره، والعام المقدم هو ﴿يُفْسِدُ﴾، والخاص المؤخر هو ﴿وَيَسْفِكُ﴾، ولا شك أن سفك الدماء داخل في الإفساد بل هو من أعظمه، فدخول السفك ضمن الفساد يجعله من عطف الخاص على العام.

ومن أسرار ذلك الترتيب: بيان عِظَم سفك الدماء بخاصة، وإفرادها بالذكر بعد دخولها في الإفساد يشعر بشدة حُرمة الدماء عند الله – تعالى – فإن الله تعالى قد كرَّمَ بني آدم، وجعل سفك دمائهم المعصومة من أعظم المحرمات التي ينبغي أن تجتنب، و"الملائكة علمتْ من علم الله أنه لا ذنب أعظم عند الله من سفك الدماء"(١).

ولشدة جرم السفك وعظيم حُرمته قرن الله تعالى قتل الأنفس بالإشراك به سبحانه، وفي موضع آخر من سورة الفرقان يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ ﴾ [الفرقان: ٦٨]. وقد التفت الألوسي إلى هذا السرَّ، حيث يقول في تفسيره: "والعطف من عطف الخاص على العام للإشارة إلى

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١/ ٤٩٢).

عظم هذه المعصية؛ لأنه بها تتلاشى الهياكل الجسمانية"[١]، وأكده الشيخ السعدي فقال: "وهذا تخصيص بعد تعميم؛ لبيان شدة مفسدة القتل"[٢].

وقال ابن عاشور: "وعطف سفك الدماء على الإفساد؛ للاهتمام به"[٣]، والمقصود الاهتمام بعظم حرمتها وشدتها.

ولطبيعة تكوين الإنسان وطبيعة جبلته دور في حدوث هذه الجريمة؛ لأنه بغياب العقل، وسيطرة الشهوة على الإنسان، يحدث مالا تحمد عقباه، ومن طبيعة هذا الإنسان "أنه مركب من الأركان المتخالفة والأخلاط المتنافية الموجبة للشهوة التي منها الفساد وللغضب الذي منه سفك الدماء"[٤].

وهذا ما نبه عليه صاحب (نظم الدرر) في تفسيره حين قال: "لأنهم علموا أنه إذا جمع الغضب والشهوة إلى العقل جاءت المنازعة فيتولد الفساد من الشهوة والسفك من الغضب"[٥]، فينبغي الاحتراز من كل ما يمكن أن يسبب تلك الجريمة، وعدم الاستسلام لخطواتِ الشيطان، وفي السياق ذاته يقول ابن عاشور: "وفي المجيء بالصلة جملة فعلية دلالة على توقع أن يتكرر الإفساد والسفك من هذا المخلوق"[٦].

عرفوا خلقته وعلموا أنه مركب من الأركان المتخالفة والأخلاط المتنافية الموجبة للشهوة التي منها الفساد وللغضب الذي منه سفك الدماء"[٧].

---

(١) روح المعاني، الألوسي (١/ ٢٢٣).
(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٤٨).
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٤٠٢).
(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري (١/ ٢١٨).
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور البقاعي (٢٢/ ١٣٨).
(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٤٠٢).
(٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري (١/ ٢١٨).

ومن النصوص الشرعية التي تبين صراحة إثم هذا الذنب وعقوبته آية سورة النساء، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣]، وفي ترتيب تلك العقوبات (خالدًا فيها، غضب الله عليه، لعنه، أعدَّ له عذابًا عظيمًا) أيضًا إشارة إلى أن من تَهُنْ عليه دماء المسلمين، فلن يتوارى عن فعل ما دونها، فإن استهان بالعظيم، كان ما دونه عليه أهون، كما أن فيه دعوة إلى صيانة النفس؛ لأن صيانتها من المقاصِد التي أمرنا الله تعالى بإتباعها. وتجدر الإشارة إلى أن الخلافة في الأرض تقتضي مبدأ الإصلاح والعدل الذي ينافي بلا شك الإفساد وقتل النفس بغير وجه حق، والله أعلم.

– الثاني: يقول الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وهو بقية آية الشاهد الأول، عطف النظم الكريم الفعل ﴿وَنُقَدِّسُ﴾ على الفعل ﴿نُسَبِّحُ﴾؛ للمقابلة بين طرفي المقابلة على الترتيب، حيث إن الفعل ﴿نُسَبِّحُ﴾ يقابل الفعل ﴿يُفْسِدُ﴾، والفعل ﴿وَنُقَدِّسُ﴾ يقابل الفعل ﴿وَيَسْفِكُ﴾.

ويكمن في هذا الترتيب سر عظيم وضحه الإمام الزركشي، حيث قال: "قابل الإفساد بالتسبيح والحمد، وسفك الدماء بالتقديس. فالتسبيح بالحمد إذن ينفي الفساد، والتقديس ينفي سفك الدماء. والتسبيح شريعة للإصلاح، والتقديس شريعة حقن الدماء"(١).

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٣/ ٤٥٩-٤٦٠).

وقال أبو السعود: " كأنهم قابلوا الفسادَ الذي أعظمُه الإشراكُ بالتسبيح وسفكِ الدماء الذي هو تلويثُ النفس بأقبح الجرائمِ بتطهير النفسِ عن الآثام"(١).

والتسبيح تنزيه الخالق تعالى عما لا يليق به، والتقديس إثبات ما يليق بالمولى جل شأنه؛ ويفهم هذا مما ذكره ابن كثير حيث يقول: "﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننسبك إلى ما هو من صفاتك، من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك"(٢).

وبناء على كل ما سبق يكون مقام التسبيح بحمد الله مقدمًا على مقام التقديس تحقيقًا لقاعدة "التخلية قبل التحلية"، وهذا ما صرح به الشيخ ابن عثيمين حيث يقول:" "التقديس" معناه التطهير؛ وهو أمر زائد على "التنْزيه"؛ لأن "التنزيه" تبرئة، وتخلية؛ و"التطهير" أمر زائد"(٣).

الثاني: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥].

جاء في تفسير ابن جرير الطبري: "إذا خرج هذا المنافق من عندك يا محمد غضبان عمل في الأرض بما حرم الله عليه، وحاول فيها معصية الله، وقطع الطريق، وإفساد السبيل على عباد الله، كما قد ذكرنا آنفًا من فعل الأخنس بن شريق الثقفي، الذي ذكر السدي أن فيه نزلت هذه الآية: من

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١/ ٨٣).
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ٢٢١).
(٣) تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين (١/ ١١٥).

إحراقه زرع المسلمين وقتله حمرهم، والسعي في كلام العرب العمل، يقال منه: فلان يسعى على أهله، يعني به يعمل فيما يعود عليهم نفعه"[١].

من بلاغة الترتيب بين متعاطفات الأفعال في الآية الكريمة:

قدَّمَ النظمُ الكريم الفعل ﴿لِيُفْسِدَ﴾ على الفعل ﴿وَيُهْلِكَ﴾ الصريح في التخريب والدمار، والإفساد لا شك يشمل إهلاك الحرث والنسل وغيرهما، والعام المقدم؛ هو ﴿لِيُفْسِدَ﴾، والخاص المؤخر؛ هو ﴿وَيُهْلِكَ﴾، ودخول الإهلاك ضمن الإفساد يجعله من عطف الخاص على العام.

ومن أسرار ذلك الترتيب: الإشارة إلى فظاعة هذا النوع من الإفساد. وقد اتفق أغلب أهل العلم على أن المقصود بالحرث: "الزرع"، والمقصود بالنسل: "الحيوانات"، وهما بلا شك قِوام حياة البشر، ويقول القرطبي: "دلت الآية على الحرث وزراعة الأرض، وغرسها بالأشجار حملا على الزرع، وطلب النسل، وهو نماء الحيوان، وبذلك يتم قوام الإنسان"[٢].

وقد أشار صاحب (زهرة التفاسير) إلى أهمية الحيوان والنبات لبني آدم؛ إذ إنهما حاجتان رئيستان تقوم عليهما حياة البشر، ويرتكز عليهما اقتصاد الدول والمجتمعات، فيزدهر بالاهتمام بهما، وينهار بإهمالهما، ولا غنى عنهما بحال[٣].

وإهلاك الحرث والنسل يكون أيضًا بالأعمال التي من شأنها إيقاظ الفتنة بين المسلمين، وقتل الأنفس بغير حق، ويكون الإهلاك أيضًا بالكفر بالخالق – تعالى –، وبارتكاب الشرور والمعاصي فتلك الأفعال الشنيعة والقبيحة من شأنها أن تمنع المطر، وتُمحق البركة، ويحصل الجدب الذي يقضي على الزرع، ويُهلك الحيوانات، وهذا ما وضحه النيسابوري حيث

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٣/ ٥٨١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣/ ١٨).
(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة (٢/ ٦٤١).

يقول:" يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل"(١).

وإلى ذلك نجد وراء هذا الترتيب سرًا عظيمًا آخر انتبه إليه البيضاوي حين نبه إلى خطر ما "يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف، أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل"(٢).

والإفساد المتعمد يستلزم سعيًا، والفعل الماضي سعى يشعر برغبة المفسد القوية وجهده المبذول في الإفساد والتدمير، وهذا ما التفت إليه صاحب تفسير (الكشاف) فقال: "قيل لحرب كانت بين طيء: حرب الفُساد. وكان فساد المنافقين في الأرض. أنهم كانوا يمايلون الكفار، ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم"(٣)، وفي هذا الفعل القبيح إثارة للفتن.

والقيد ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إشارة إلى شدة إفساد الأخنس بن شريق الذي نزلت فيه الآية الكريمة، فكأن فساده عم سائر الأرض، والله أعلم.

وقد أشار صاحب (البحر المحيط) إلى لطيفة هذا القيد حيث يقول: "وليس ذكر الأرض لمجرد التوكيد، بل في ذلك تنبيه إلى أن هذا المحل الذي فيه نشأتكم وتصرفكم، ومنه مادة حياتكم، وهو سترة أمواتكم، جدير أن لا يفسد فيه، إذ محل الإصلاح لا ينبغي أن يجعل محل الإفساد"(٤).

المطلب الثاني: من بلاغة تقديم الفعل الخاص على الفعل العام في المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة

يأتي هذا الأسلوب للتنبيه على فضل الخاص وتمييزه، ويقول صاحب المصباح المنير: "وكما يجوز ذكر الخاص بعد العام للتفصيل كذلك يجوز

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري (١/ ٥٧٦).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (١/ ١٣٣).
(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (١/ ٦٢).
(٤) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان (١/ ١٠٧).

ذكر الخاص قبل العام للتفضيل"[1]. ومن ذلك قول الله – تعالى – في سورة الحجـــر: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر: ٨٧]، فخص الله تعالى الفاتحة (سبعًا من المثاني) بالذكر أولًا قبل ذكر (القرآن العظيم) مع دخولها ضمن سور القرآن الكريم، وذلك لعظم شأنها وجليل فضلها عند الله – تعالى –.

والمقصود بالأول اللفظ الخاص الذي خُص بالذكر أولًا تفضيلًا له.

وبالاستقراء والبحث وجدت هذا النوع من التقديم قد ورد مرة واحدة في سورة البقرة، وسأتناوله بالشرح والتحليل، فيما يلي:

– **يقول الله تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ **[البقرة: ٨٧].**

يمتن تعالى في هذه الآية على بني إسرائيل أن أرسل لهم كليمه موسى، وآتاه التوراة، ثم تابع من بعده بالرسل الذين يحكمون بالتوراة، إلى أن ختم أنبياءهم بعيسى ابن مريم – عليه السلام –، وآتاه من الآيات البينات ما يؤمن على مثله البشر، وقواه الله بروح القدس جبريل – عليه السلام –، ثم مع هذه النعم التي لا يقدر قدرها، قدمتم الهوى على الهدى، وآثرتم الدنيا على الآخرة، وفيها من التوبيخ والتشديد ما لا يخفى[2].

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي (٢/ ٤٧٩).
(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ٥٨).

من بلاغة الترتيب بين متعاطفات الأفعال في الآية الكريمة:

قدم النظم الكريم في هذه الآية الكريمة الفعل ﴿ءَاتَيۡنَا﴾ على الفعل ﴿وَقَفَّيۡنَا﴾، والمقصود بالإتيان موسى – عليه السلام –، والفعل ﴿وَقَفَّيۡنَا﴾ متعلق بالرسل الذين جاءوا من بعده، وقدم أيضًا الفعل ﴿ءَاتَيۡنَا﴾ على الفعل ﴿وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾، فكان هذا من عطف العام على الخاص اهتمامًا بشأنه، و"نص هنا لعيسى على الآيات البينات تقبيحا لأفعال اليهود حيث أنكروا نبوته مع ما ظهر على يديه من الآيات الواضحة"(١).

ومن أسرار ذلك الترتيب: بيان تكريم الله تعالى لموسى وعيسى عليهما السلام بمميزات ومعجزات لم تكن لأحد من الأنبياء غيرهما، فخص تعالى موسى – عليه السلام – بالتكليم المباشر وهذا شرف عظيم لموسى عليه السلام لم يسبق لبشر غيره، يقول صاحب (البحر المحيط): "وخص من كلمه الله وعيسى من بين الأنبياء لما أوتيا من الآيات العظيمة، والمعجزات الباهرة، ولأن آيتيهما موجودتان، فتخصيصهما بالذكر طعن على تابعيهما حيث لم ينقادوا لهذين الرسولين العظيمين، ووقع منهم المنازعة والخلاف(٢)".

ففي تأخير المؤخر ﴿وَقَفَّيۡنَا﴾ دلالة واضحة على فضل موسى – عليه السلام – حين جعله الله تعالى في مقدمتهم وجعلهم تابعين له "ومنه سميت قافية الشعر لأنها تتلو سائر الكلام. والمراد أن الله سبحانه أرسل

(١) البحر المحيط، أبو حيان (٢/ ٦٠٢).
(٢) المرجع السابق، (٢/ ٦٠٢).

على أثره رسلا جعلهم تابعين له وهم أنبياء بني إسرائيل المبعوثون من بعده"[١].

وقد جاء موسى – عليه السلام – في زمن الطاغية فرعون الذي بلغ من فجوره وعتوه أن أدعى الإلهية ومواجهة مثل هذا الطاغية مرهقة ومكلفة فـ"تخصيص موسى بالذكر دون غيره من الأنبياء لأنه أول نبي جاء بالتكاليف الشديدة"[٢]. وفي ذلك امتحان شديد من المولى – تعالى – له عليه السلام، وقد تجاوز جميع العقبات الموجودة في زمنه، بفضل نصر الله – تعالى – وتأييده إياه.

لكل ذلك خُصَّ موسى – عليه السلام – بالذكر أولًا، وبالتقديم ثانيًا ولموسى عليه السلام معجزات عديدة أمتن الله تعالى بها عليه دون بقية الرسل "نحو فلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى، ونتق الجبل، وتكليم الله تعالى لموسى – عليه السلام – من السحاب"[٣]، وغير ذلك من المعجزات والكرامات التي كرمه الله تعالى بها.

****

(١) فتح القدير، الشوكاني، (١/ ١٢٩).
(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي (٣/ ٣٨٢).
(٣) مفاتيح الغيب، الرازي (٦/ ٣٦٦).

المبحث الرابع: من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال متعددة الأغراض البلاغية في سورة البقرة.

المطلب الأول: من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة لمناسبة السياق.

لطائف المتعاطفات في الدراسة البلاغية أوسع منها في الدراسة النحوية؛ حيث إن المعاني في حروف العطف خلال الدراسة النحوية لها معانٍ محدودة، أما دراستها في ضوء باب العطف (الفصل والوصل) في ظلال الدراسة البلاغية، فلها معانٍ متدفِقة بديعة وإشارات بلاغية رحيبة، وكلما سَمَت ذائقة الإنسان وملكته البلاغية تمكن من استنباط المعاني الجليلة، وقد ورد ذلك في موضعين من السورة الكريمة بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في سورة البقرة لمناسبة السياق:

الأول: قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ **[البقرة: ١٢٩].**

جاءت الآية على لسان نبينا إبراهيم – عليه السلام –، يدعو الله تعالى فيها أن يبعث رسولًا إلى أهل الحرم ليتلو عليهم الآيات ويعلمهم ويزكيهم، يكون "من ذرية إبراهيم. وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في تعيين محمد ﷺ رسولا في الأميين إليهم، إلى سائر الأعجمين، من الإنس والجن"(١).

من بلاغة الترتيب بين متعاطفات الأفعال في الآية الكريمة:

قدم النظم الكريم في هذه الآية الفعل (يعلمهم) على الفعل (يزكيهم)، وعلى العكس من ذلك في الشاهد الثاني تأتي التزكية مقدمة على التعليم، ومن المعلوم أن تقديم الشيء يدلُّ على مكانته والاهتمام به، وتأتي مخالفة

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ٤٤٣).

الترتيب هنا لمناسبة السياق، حيث إن السياق في هذه الآية الكريمة وارد على لسان نبينا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ومما لا شك فيه أن مهمة الأنبياء والرسل في المقام الأول هي الدعوة إلى الله وتعليم البشر شعائر الدين؛ لأن التزكية من الله تعالى وليست باستطاعتهم.

ومن أسرار هذا الترتيب أيضًا أن ترتيب الأفعال هنا موافق لإنزال الآيات، فإنزال القرآن على النبي أيا كان هو إذ يقتضي تعليمه وتدبر آياته ومعانيه، وتأتي تلاوة الآيات والتعليم ثم تحصل التزكية والتطهير ويقول ابن عاشور: "أول تبليغ الرسالة تلاوة القرآن ثم يكون تعليم معانيه، والعلم تحصل به التزكية وهي في العمل بإرشاد القرآن"(١).

وهذا ما حققه الله تعالى تلبية لدعوة سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل – عليهما السلام –، يقول ابن عاشور: "عبر بيتلو لأن نزول القرآن مستمر وقراءة النبي له متوالية، وفي كل قراءة يحصل علم بالمعجزة للسامعين"(٢).

والنبي ﷺ بُعِث للأمة الإسلامية لكي يخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهداية فـ"كانوا إلى تعليم ما ذكر أحوج منهم إلى التزكية فإن أصلها موجود بالإسلام فأخر قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهر قلوبهم بما أوتي من دقائق الحكمة، ونجد أن لهذا الترتيب سرًا آخر، وهو أن أعظم معجزات النبي ﷺ هي القرآن الكريم، فجاء ذكر التعليم بعد ذكر تلاوة الآيات مناسبًا لذلك؛ لأن أول منزلة النبي ﷺ بعد ادعاء النبوة الإتيان بالآيات الدالة على نبوته، ثم بعده تعليمهم الكتاب(٣).

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (١/ ٦٢٦)، والتحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٧٢٣).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢/ ٤٩).

(٣) انظر: نظم الدرر، البقاعي (٢/ ١٦٢)، وتفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني (١/ ٣١٦).

الثاني: قول الله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾ [البقرة: ١٥١].

جاءت هذه الآية الكريمة خطابًا مباشرًا من الله – تعالى – "لأهل مكة والعرب يعني كما أرسلنا فيكم يا معشر العرب ﴿ رَسُولٗا مِّنكُمۡ ﴾ يعني محمدًا ﷺ ﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾ يعني القرآن ﴿ وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ قيل: الحكمة السنة، وقيل: مواعظ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾"[1]، من أمور الدين وأحكامه التي كانوا يجهلونها.

من بلاغة الترتيب بين متعاطفات الأفعال في الآية الكريمة:

قدم النظم الكريم في هذه الآية الكريمة الفعل ﴿وَيُزَكِّيكُمۡ﴾ على الفعل ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ على عكس الآية السابقة مناسبة لسياق الكلام ومقام النزول، وبإنعام النظر في الآية الكريمة يتبين المغزى من ذلك، وهو أن الخطاب جاء فيها مباشرًا من المولى – تعالى –، ولذلك قُدمت التزكية على التعليم؛ لأن الله تعالى يصطفي فيها من يشاء من عباده ويزكيه.

ومن أسرار هذا الترتيب أيضًا أن المقام هنا يقتضي التزكية والتطهير من الذنوب والمعاصي، ففي الآيات التي سبقت هذه الآية كان الحديث عن الأهواء وكتمان الحق، وفي الآيات التي تلتها جاء الحديث عن الصبر والصلاة، ولا يخفى فضل الصبر وأهمية الصلاة في تطهير النفوس، فالمقام هنا لا يقتضي التعليم اقتضاءه في الشاهد السابق، فقدم النظم الكريم (التزكية) هنا:" باعتبار القصد وأخره في دعوة إبراهيم عليه السلام باعتبار

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (١/ ١٦٧).

الفعل ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ بالفكر والنظر"[1]، ويقول ابن عاشور بأن التزكية قُدمت هنا: "للامتنان على المسلمين؛ فقدم فيها ما يفيد معنى المنفعة الحاصلة من تلاوة الآيات عليهم، وهي منفعة تزكية نفوسهم اهتماما بها، وبعثا لها بالحرص على تحصيل وسائلها وتعجيلا للبشارة به"[2].

ومن أسرار هذا الترتيب أيضًا أن التزكية قُدمت هنا لأنها "عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة "[3]، ولا شك ان التزكية تشمل جوانب خُلقية ونفسية وروحية لا غنى عنها، وبلا تزكية لن يستطيع الإنسان أن يتلقى العلم، فهي شرط أساسي ودائمًا ما يأتي ذكر التزكية قبل التعليم، باستثناء الموضع المذكور مسبقًا الذي جاء على لسان النبي إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وفي تقديم التزكية هنا أيضًا إلماح إلى مبدأ التخلية قبل التحلية، إذ التزكية تطهير وتنقيه من عقائد فاسدة؛ ليأتي التعليم على طُهر ونقاء فيتمكن، والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال بتقديم الغاية على الوسيلة في سورة البقرة.

في هذا المطلب ننعم النظر في نموذج من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال بتقديم الغاية على الوسيلة:

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (١/ ١١٤).
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢/ ٤٩-٥٠).
(٣) روح المعاني، الألوسي (١/ ٤١٧).

- **يقول الله تعالى:** ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ **[البقرة: ٢٣]**.

في هذه الآية الكريمة تحدٍ من الله تعالى للمشركين والمنافقين بأن يأتوا ولو بسورة من مثل القرآن الكريم، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، وهذا من الله – تعالى – احتجاجٌ لنبيه محمد ﷺ على مشركي قومه من العرب ومنافقيهم، وكفار أهل الكتاب وضُلالهم، وتحداهم الله إن كنتم أيها المشركون والكفارُ في شكٍّ مما نُزِّلَ على محمد ﷺ آيات الله، فأتوا بحجة تدفع حُجته؛ لأنكم تعلمون أن حجةَ كلّ ذي نبوّة على صدقه في دعوَاه النبوة: أن يأتي ببرهان يَعجز عن أن يأتيَ بمثله جَميعُ الخلق(١).

من بلاغة الترتيب بين متعاطفات الأفعال في الآية الكريمة:

قدم النظم الكريم في هذه الآية الكريمة الفعل ﴿فَأْتُوا۟﴾ على الفعل ﴿وَٱدْعُوا۟﴾، وبتدقيق النظر في الآية الكريمة مرة تلو الأخرى تتبين أسرار الإعجاز في هذا النظم المبهر، الذي لا يضاهيه ولا يجاريه كلام آخر على الإطلاق.

والإتيان بسورة من مثله غايتهم الأولى والأهم، وإن كان لا يكون إلا باستجماعهم جميع إمكاناتهم، ومن أبلغ تلك الإمكانات جدوى في هذا الصدد (دعوة شهدائهم) وحشد حشودهم، فكان الترتيب الطبعي للأحداث أن يقدم الفعل ﴿وَٱدْعُوا۟﴾ على الفعل ﴿فَأْتُوا۟﴾، غير أن الأهم عندهم، والثمرة المرجوة من كل تلك الجهود المبذولة هي الإتيان بمثل القرآن ليثبتوا أنه ليس من عند الله تعالى فيبطلوا دعوة النبي لذلك قدم، والله أعلم.

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١/ ٣٩٥).

ومن أسرار هذا الترتيب إثبات عجز الكفار والمنافقين عن الإتيان ولو بسورة من مثل القرآن الكريم لاسيما وهم من "أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه، لكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد من البشرية من الكلام الفصيح البليغ، الوجيز"(١).

وجاء هذا التحدي قمة في التبكيت والتعجيز لهم، " والفاءُ للجواب وسببيةُ الارتياب للأمر أو الإتيانِ بالمأمور به لما أشير إليه من أنه عبارةٌ عن جزمهم المذكور فإنه سببٌ للأول مطلقًا وللثاني على تقدير الصدقِ كأنَّه قيلَ إنْ كانَ الأمرُ كَما زعمتم من كونه كلامَ البشر"(٢)، فأتوا بسورة من عندكم لتثبت صحة دعواكم وتكذيبكم فيما أنزل على النبي ﷺ.

ومن لطائف هذا الترتيب أيضًا إخبار الله تعالى لهم بأنه إذا كان سبب التشكك وعدم تصديق النبي ﷺ هو إنزال القرآن الكريم بالتدريج إذن "هاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبة، وهلموا نجما فردا من نجومه: سورة من أصغر السور، أو آيات شتى مفتريات. وهذه غاية التبكيت، ومنتهى إزاحة العلل"(٣).

وكان عجزهم فاضحًا لأن المولى – تعالى – أمرهم بأن يأتوا بسورة واحدة ولو بأقصر سورة من القرآن الكريم، وهذا هو غاية التبكيت والتخجيل لهم، إن كانوا لم يقدروا ولن يقدروا على ذلك فكيف ينتابهم الشك والتكذيب في أنه من عند الله تعالى(٤).

وتأخير فعل الأمر ﴿وَٱدۡعُواْ﴾ بعد فعل الأمر ﴿فَأۡتُواْ﴾ إمعان في التحدي لهم ولقومهم، فأمرهم أن يستعينوا بشهدائهم ومناصريهم التي يزعمون وآلهتهم التي لا تنطق، ولا تملك لهم ضرًا ولا نفعا لنجدتهم ومساعدتهم لأنهم

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/ ٢٠).
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود (١/ ٦٤).
(٣) الكشاف، الزمخشري (١/ ٩٧).
(٤) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (١/ ٦٩).

إذا "خوطبوا جميعًا –وهم الجم الغفير– بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم، كان أبلغ في التحدي من أن يقال لهم: ليأتي واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد"(١)، وودعتهم مزيد من الخزي لهم "ليشاهدوا ما تأتون به، فيكون الرد على الجميع أوكد في الحجة عليهم"(٢)، ليكونوا عبرة لغيرهم من المكذبين، وعلى مرأى ومسمع من الجميع فما أخجل وأعجز ذلك التحدي!!

ومن أسرار هذا الترتيب أيضًا أن في دعوة آلهتهم وأحبارهم ورهبانهم لمساعدتهم في الإتيان بمثل سورة من القرآن الكريم "غاية ما يكون من التحدي: أن يتحدى العابدَ والمعبودَ أن يأتوا بسورة مثله"(٣).

وحين تبين عجزهم وخذلان أحبارهم ورهبانهم وآلهتهم لهم لم يرتدعوا ويعودوا إلى الحق والإيمان، ولم يكتفوا بأذية الرسول ﷺ وتكذيبه، واستمروا في غيهم وشرورهم و"بذلوا له السيف، كما يبذل المُحرَجُ آخر وُسْعه، وأخطروا بأنفسهم وأموالهم، وانصرفوا عن توهن حجته إلى تهوينها على أنفسهم"(٤) بوصفه ﷺ بالسحر والجنون وغير ذلك من الأوصاف التي تعكس شدة حقدهم ومكرهم ونكايتهم له، ولكن ثبوت عجزهم دليل قاطع على إعجاز القرآن، وصدق نبوة النبي محمد ﷺ.

وتترقى الآيات القرآنية في التحدي حتى تخزي الإنس والجن مجتمعين بالإتيان بمثل القرآن الكريم، يقول – تعالى –: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الأسراء: ٨٨]، والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) الكشاف، الزمخشري (١/ ٩٩).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١/ ٢٣٣).
(٣) تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين (١/ ٨٢).
(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي (ص: ١١٨).

المطلب الثالث: من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال بتقديم التخلية على التحلية في سورة البقرة.

في هذا المطلب ننعم النظر في نموذج من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال بتقديم التخلية على التحلية:

- **يقول الله تعالى:** ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾[البقرة: ٢٥٦].

"يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة أثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه آثره واختاره، وأما من كان سيئ القصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكره ليس إيمانه صحيحا، ولا تدل الآية الكريمة على ترك قتال الكفار المحاربين، وإنما فيها أن حقيقة الدين من حيث هو موجب لقبوله لكل منصف قصده اتباع الحق، وأما القتال وعدمه فلم تتعرض له، وإنما يؤخذ فرض القتال من نصوص أخر، ولكن يستدل في الآية الكريمة على قبول الجزية من غير أهل الكتاب، كما هو قول كثير من العلماء، فمن يكفر بالطاغوت فيترك عبادة ما سوى الله وطاعة الشيطان، ويؤمن بالله إيمانا تاما أوجب له عبادة ربه وطاعته فقد استمسك بالدين القويم الذي ثبتت قواعده ورسخت أركانه، وكان المتمسك به على ثقة من أمره، لكونه استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها"(١).

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ١١١).

من بلاغة الترتيب بين المتعاطفات الأفعال في الآية الكريمة:

قدم النظم الكريم في هذه الآية الكريمة الفعل (يكفر) على الفعل (يؤمن) وتوطئة الإيمان بالله تعالى في نفس العبد يأتي على سبيل التحلية، ويأتي بعد تطهير النفس وتخليتها من أدران الشرك والكفر بالطاغوت فيحل الإيمان بعد طرد الإيمان بالطاغوت أي بعد الكفر به فهو من التخلية.

ومن أسرار هذا الترتيب أيضًا بيان أهمية الكفر بالطاغوت والاصنام وكل ما عُبد من دون الله، ووجوب وحدانية الله – تعالى –، وعظم جُرم الإشراك بالله تعالى في العبادة، ومن ينكر هذه الطواغيت ويتيقن تيقنًا تامًا بلا إله إلا الله فقد "استمسك بالعروة الوثقى، من الحبل الوثيق المحكم، المأمون انفصامها، أي: انقطاعها. وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر، والاستدلال بالمشاهد المحسوس، حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه، فيحكم اعتقاده والتيقن به"(١).

ويقول ابن عطية بأن غرض ذلك التقديم: "الاهتمام بوجوب الكفر بالطاغوت، و(العروة) في الأجرام وهي موضع الإمساك وشد الأيدي. واسْتَمْسَكَ معناه: قبض وشد يديه، والْوُثْقى: فُعْلَى من الوثاقة"(٢).

واستحقاق العبادة لله تعالى وحده حقيقة ينبغي على كل مسلم إدراكها والعمل بها، لينال بذلك رضا الله – تعالى –، ثم السعادة والفوز في الدنيا والاخرة، ويؤكد البيضاوي ذلك حيث يقول بأن: "الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية والكفر غي يؤدي إلى الشقاوة السرمدية، والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان طلبًا للفوز بالسعادة والنجاة"(٣).

وذُكر الإيمان بالله تعالى بعد التصريح بالكفر بالطاغوت "لأن الكفر بها هو رفضها، ورفض عبادتها، ولم يكتف بالجملة الأولى لأنها لا تستلزم

(١) الكشاف، الزمخشري (١/ ٣٠٤).
(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية (١/ ٣٤٤).
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (١/ ١٥٤).

الجملة الثانية، إذ قد يرفض عبادتها ولا يؤمن بالله، لكن الإيمان يستلزم الكفر بالطاغوت، ولكنه نبه بذكر الكفر بالطاغوت على الانسلاخ بالكلية"[١]، وذلك يؤدي إلى الاستقامة على الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، فيجب أن يعتقد المؤمن بطلان عبادة غير الله، ويخلص عقيدته لخالقه تعالى.

ومن أسرار هذا الترتيب كذلك القذف في صدر الكلام بالكفر بالطاغوت لخطر الطاغوت على العبد الكافر، لأنه "لَا يحجب النفوس عن الإيمان بالله إلا طغيان المتجبرين عليها، وسيطرة أوهام الكبراء، فمن تحرر من ربقة الطاغوت تتكشف له الحقيقة العالية فيؤمن بها، ويدركها، ويعتصم بالله"[٢].

ويتبين من خلال ما سبق أن تخلية القلب من الإشراك بالله وعبادة الطواغيت أهم ومقدمة على تحليته بالإيمان حتى يقبل الإنسان على الله – تعالى – بقلبٍ نقي سليم، وهذا ما وضحه الشعراوي – رحمه الله – حيث يقول: "قدم الكفران بالطاغوت، ثم جاء بالإيمان بالله؛ لأن الأمر يتطلب التخلية أولًا والتحلية ثانيا، لابد أن يتخلى الإنسان من الطاغوت فلا يدخل على أنه يؤمن بالله وفي قلبه الطاغوت، فنحن قبل أن نكوي الثوب نغسله وننظفه، والتخلية قبل التحلية"[٣].

****

(١) البحر المحيط، أبو حيان (٢/ ٦١٧).
(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة (٢/ ٩٤٦).
(٣) تفسير الشعراوي، الشعراوي (٢/ ١١١٥).

نتائج البحث:

وبعد هذه الرحلة المباركة في رحاب البلاغة القرآنية في سورة البقرة يطيب لي أن ألملم ما خرجتْ به تلك الدراسة من نتائج أهمها:

- مقام تقديم الفعل العام على الخاص وجه قويٌّ من وجوه العلاقات المنظمة للترتيب بينهما، ومقامَ تقديمِ الفعلِ العامِّ على الخاصِّ يقتضي حرفَ (الواو)؛ لأن الخاص من العام، والعام منه، والواو بمطلق جمعهما أشكل.
- غرض تقديم العام يعود على المؤخر للتنبيه على فضل الخاص المعطوف حتى كأنه ليس من جنس العام، وقد سُمي بالتجريد كأنه جُرّد من الجملة وأُفرد بالذكر تفصيلًا، وأُفرد بالذكر اهتمامًا بشأن الخاص.
- أنه غلب تقديم السبب على المسبب في متعاطفات الأفعال في السورة، والحكمة من ذلك أن الأحداث تقتضي تقديم السبب على المسبب والتسبب به إليه؛ لأن الفعل محمول على سببه وعيال عليه.
- عطف المسبب على السبب وجه من وجوه الترتيب بين المتعاطفات الأفعال، فقد تبين أن الفعل المسبب تقدم على السبب في سورة البقرة للدلالة على معنى دقيق يقتضيه كمال الإعجاز في القرآن.
- أن عطف الفعل الأهم على المهم من الأساليب البلاغية، وأساسه مجاراة للعربية؛ لأن ذلك من أغراض العرب في لغتهم، وأحيانًا يقدم المهم؛ لأجل إبراز معنى أو تحقيق غرض، فيكون المهم هو الأَوْلى.
- أن الأهم العرضيَّ إذا اقتضاه الحالُ يكون أَوْلى بالرعاية والتقديم من تقديم الأهم الذاتي وفاءً بحق المقام، وأنه يأتي لإبراز معنىً لافتٍ أو تحقيق غرض مقصودٍ فيكون لذلك هو الأَوْلى بالتقديم.
- أن الاتساق ومناسبة السياق الأبعد يقتضي أحيانًا ترجيحَ تقديمِ بعضِ الأفعال وتأخير أخرى.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم
٢- أحكام القرآن، الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
٤- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، مصطفى صادق، ط٨، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
٥- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، ط٣، بيروت، دار الجيل، د.ت.
٦- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٧- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
٨- البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، تحقيق: حفني محمد شرف، د.ط، القاهرة، مكتبة الشباب ومطبعة الرسالة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
٩- بستان الواعظين ورياض السامعين، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: أيمن البحيري، ط٢، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٠- التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١١- التفسير الحديث، دروزة، محمد عزت، د.ط، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ.
١٢- تفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني، أبو القاسم الراغب الحسين بن محمد، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، ط١، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١٣- تفسير الشعراوي، الشعراوي، محمد متولي، د.ط، القاهرة: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
١٤- تفسير الفاتحة والبقرة، العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، ط١، السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ، ١/ ١١٥.
١٥- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١٦- تفسير المراغي، المراغي، أحمد مصطفى، ط١، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.
١٧- تفسير المنار، رضا، محمد رشيد، د.ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م
١٨- التفسير الوسيط، الزحيلي، وهبة بن مصطفى، ط١، دمشق، دار الفكر، ١٤٢٢هـ.
١٩- التفسير الوسيط، طنطاوي، محمد سيد، ط١، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٧م.
٢٠- تيسير الكريم الرحمن، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٢١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: عبد الله التركي، ط١، القاهرة، دار هجر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٢- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٢٣- الجامع الكبير، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد شاكر، ط٢، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
٢٤- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، الدسوقي، محمد بن عرفة، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، د.ط، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت
٢٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٢٦- زهرة التفاسير، أبو زهرة، محمد بن أحمد، د.ط، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.
٢٧- شرح دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، شادي، محمد إبراهيم، المنصورة، دار اليقين، ط٢، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٢٨- العذب النمير من مجالس التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين، تحقيق: خالد السبت، ط٢، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ.
٢٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، الحسن بن محمد بن حسين، تحقيق: زكريا عميرات، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.
٣٠- الغريب المصنف، أبو عبيد، القاسم بن سلام، تحقيق: صفوان عدنان داووي، المدينة المنورة، مجلة الجامعة الإسلامية ، السنة السادسة والعشرون، العددان: (١٠١، ١٠٢) ١٤١٤-١٤١٥هـ.
٣١- فتح البيان في مقاصد القرآن، القِنَّوجي، صديق خان، ط١، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٣٢- فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي، ط١، دمشق وبيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ.
٣٣- الفروق اللغوية، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، تحقيق: محمد سليم، د.ط، القاهرة، دار العلم والثقافة للنشر، د.ت.
٣٤- فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، عبد الملك بن محمد، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت، إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٣٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
٣٦- كشف المشكل من حديث الصحيحين، الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: علي حسين البواب، د.ط، الرياض: دار الوطن، د.ت.
٣٧- المحرر الوجيز، ابن عطية، عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٣٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت.
٣٩- معالم التنزيل، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
٤٠- مفاتيح الغيب، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
٤١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، د.ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

References :

1- alquran alkarim
2- 'ahkam alqurani, aljasasi, 'ahmad bin eali 'abu bakr, tahqiqu: eabd alsalam muhamad eali shahin, ta1, bayrut, dar alkutub aleilmiati, 1415h-1994m.
3- 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkutaab alkirim, 'abu alsaeud, muhamad bin muhamad bin mustafaa, du.ti, bayrut, dar 'iihya' alturath alearabii, da.t.
4- 'iiejaz alquran walbalaghat alnabawiatu, alraafiei, mustafaa sadiqa, ta8, bayrut, dar alkitaab alearabii, 1425h-2005m.
5- al'iidah fi eulum albalaghati, alqazwini, muhamad bin eabd alrahman bin eumra, ta3, bayrut, dar aljili, di.t.
6- albahr almuhit fi altafsiri, 'abu hayan, muhamad bin yusif bin ealii bin yusif bin hayaan al'andalsi, tahqiqu: sidqi muhamad jamil, dar alfikri, bayrut, 1420hi.
7- alburhan fi eulum alqurani, alzarkashi, 'abu eabd allah badr aldiyn, tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, ta1, alqahirata, dar 'iihya' alkutub alearabiati, 1376h-1957m.
8- alburhan fi wujuh albayan, aibn wahab alkatibi, 'abu alhusayn 'iishaq bin 'iibrahim bin sulayman, tahqiqa: hifni muhamad sharaf, du.ta, alqahirati, maktabat alshabab wamatbaeat alrisalati, 1389h-1969m.
9- bustan alwaeizin wariad alsaamiein, aibn aljuzi, jamal aldiyn 'abu alfaraj eabd alrahman bin eali bin muhamad, tahqiqu: 'ayman albuhayri, ta2, bayrut: muasasat alkutub althaqafiati, 1419h-1998m.
10- altahrir waltanwiru, abn eashura, muhamad altaahiri, tunus, aldaar altuwnusiat lilnashri, 1404h - 1984m.
11- altafsir alhadithi, diruzata, muhamad eizat, du.ta, alqahirata: dar 'iihya' alkutub alearabiati, 1383h.
12- tafsir alraaghib al'asfahani, al'asfahani, 'abu alqasim alraaghib alhusayn bin muhamad, tahqiqu: muhamad eabd aleaziz basyuni, ta1, kuliyat aladab, jamieat tanta, 1420h-1999m.

13- tafsir alshaerawi, alshaerawi, muhamad mutawali, du.ta, alqahirata: mutabie 'akhbar alyawmi, 1997m.
14- taysir alkarim alrahman, alsaedi, eabd alrahman bin nasir, tahqiqu: eabd alrahman alllwyahaqi, ta1, bayrut, muasasat alrisalati, 1420h-2000m.
15- tafsir alfatihat walbaqaratu, aleuthaymin, muhamad bin salih bin muhamad, ta1, alsueudiati: dar aibn aljuzi, 1423hi, 1/ 115.
16- tafsir alquran aleazimi, abn kathir, 'abu alfida' 'iismaeil bin eumra, tahqiqu: sami salamata, ta2, dar tiibat lilnashr waltawziei, 1420h-1999m.
17- tafsir almaraghi, almaraghi, 'ahmad mustafaa, ta1, alqahirati: sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabilii alhalabii wa'awladuhu, 1365h-1946m.
18- tafsir almanar, rida, muhamad rashida, du.ta, alqahirati: alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, 1990m
19- altafsir alwasiti, alzuhayli, wahbat bin mustafaa, ta1, dimashqa, dar alfikri, 1422h.
20- altafsir alwasitu, tantawi, muhamad sayid, ta1, alqahirata: dar nahdat masri, 1997m.
21- jamie albayan ean tawil ay alquran, altabri, muhamad bin jrir, tahqiqu: eabd allah alturkiu, ta1, alqahirata, dar hijr, 1422h - 2001m.
22- aljamie li'ahkam alqurani, alqurtubi, muhamad bin 'ahmad al'ansari, tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish, ta2, alqahirata: dar alkutub almisriati, 1384h-1964m.
23- aljamie alkabira, altirmidhi, 'abu eisaa muhamad bin eisaa, tahqiqu: 'ahmad shakir, ta2, alqahirati, matbaeat mustafaa albabi alhalbi, 1395h-1975m.
24- hashit aldasuqi ealaa mukhtasar almaeani, aldasuqi, muhamad bin earfata, tahqiqu: eabd alhamid hindawi, du.ti, bayrut, almaktabat aleasriati, da.t
25- ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani, al'alusi, shihab aldiyn mahmud bin eabd

allah alhusayni, tahqiqu: eali eabd albari eatiat, ta1, bayrut, dar alkutub aleilmiati, 1415h-1995m.
26- zahrat altafasir, 'abu zahrata, muhamad bin 'ahmada, du.ta, alqahirata, dar alfikr alearabii, da.t.
27- sharh dalayil al'iiejaz lil'iimam eabd alqahir aljirjani, shadi, muhamad 'iibrahim, almansurati, dar alyaqini, ta2, 1434h - 2013m.
28- aleadhb alnamayr min majalis altafsiri, alshanqiti, muhamad al'amin, tahqiqu: khalid alsabta, ta2, makat almukaramatu: dar ealam alfawayidi, 1426h.
29- gharayib alquran waraghayib alfirqan, alnaysaburi, alhasan bin muhamad bin husayn, tahqiqu: zakariaa eumayrat, ta1, bayrut, dar alkutub aleilmiati, 1416h.
30- algharib almusanafu, 'abu eubayd, alqasim bin salam, tahqiqu: safwan eadnan dawwi, almadinat almunawarati, majalat aljamieat al'iislamiat , alsunat alsaadisat waleishruna, aleaddan: (101, 102) 1414-1415hu.
31- fatah albayan fi maqasid alqurani, alqinnawjy, sidiq khan, ta1, bayruta, almaktabat aleasriat liltibaeat walnashri, 1412h-1992m.
32- fath alqidir, alshuwkani, muhamad bin eulay, ta1, dimashq wabayrut, dar abn kathirin, dar alkalm altayib, 1414h.
33- alfuruq allughawiatu, aleaskariu, 'abu hilal alhasan bin eabd alllh bin sahli, tahqiqa: muhamad salim, du.ta, alqahirata, dar aleilm walthaqafat lilnashri, da.t.
34- fiqh allughat wasiru alearabiati, althaealibi, eabd almalik bin muhamad, tahqiqu: eabd alrazaaq almahdi, ta1, bayrut, 'iihya' alturath alearabi, 1422h-2002m.
35- alkashaaf ean haqayiq ghawamid altanzil, alzamakhshari, 'abu alqasim mahmud bin eamrw bin 'ahmada, ta3, bayrut, dar alkitaab alearabii, 1407hi.

36- kashaf almushkil min hadith alsahihayni, aljuzi, eabd alrahman bin eali bin muhamad, tahqiqa: eali husayn albawabi, du.ti, alrayad: dar alwatan, da.t.
37- almuharir alwujiz, abn eatiata, eabd alhaqi bin ghalib, tahqiqu: eabd alsalam eabd alshaafi, ta1, bayrut, dar alkutub aleilmiati, 1422hi-2002m.
38- almisbah almunir fi ghurayb alsharh alkabira, alfiuwmi, 'ahmad bin muhamad bin eulay, bayrut, almaktabat aleilmiati, da.t.
39- maealim altanzil, albughwi, 'abu muhamad alhusayn bin maseud, tahqiqu: eabd alrazaaq almahdi, ta1, bayrut, dar 'iihya' alturath alearabii, 1420h.